

صدأ العقل

للدكتور حامد طاهر

كما تصدأ المعادن

بفعل عدم الاستخدام

ومرور الزمن ، وتركم اوطوبية والغبار

فإن العقل يصيبه الصدأ

عندما يتوقف عن العمل .

وعمل العقل يتمثل أساسا

في إنتاج الأفكار ، وتقليبها

والتأمل المستمر فيها

والانتهاء بمعارضتها أو الموافقة على الصحيح منها

والواقع أن العقل مثل القلب تماما

فهو من الأعضاء

التي وضعها الله في الإنسان

لتظل تعمل منذ النشأة حتى الموت

وفى البداية ..

يعتمد العقل على المشاهدات الحسية

فيدرك أن الماقتراب من النار يحرق

وأن الوقوع في البحر دون معرفة السباحة يغرق

ومع مرور الوقت

يبدأ في التعرف على ما ينفعه ويفيده

كالطعام الجيد

وأن الناس قسمان :

أحدهما طيب يستحق المصادقة

والآخر مؤذ ينبغى البعد عنه

وعندما يزداد تطور العقل

يدرك جيدا : من أين تؤكل الكتف

أى المداخل التى تحقق له الفائدة المرجوة

فيتقرب ، ويجامل ، ويتودد ..

حتى يحصل على ما يريد

والعقل قد يخطئ فى حساباته

وهذا لا يعنى خللا فى تركيبه

وإنما الخطأ فى سوء التقدير الذى اقام عليه حساباته

وهنا فارق كبير

فأن الخطأ يأتي للعقل من عدة جهات :

فأحيانا يقوم حكمه على معلومات ناقصة ،

أو مغلوطة

وأحيانا لا يرتب الأمور بالمنطق العقلي

وإنما بالهوى والرغبة الشخصية

وأحيانا يتسرع في استخلاص النتيجة

بدلا من أن ينتظر لتخرج بصورة طبيعية من مقدماتها

وأحيانا يصغى لآراء الآخرين

على سبيل المتابعة أو المجاملة أو النفاق .

وهناك من يعتقد

أنه يجب أن يريح عقله — على غرار جسمه — من العمل

وهذا خطأ فادح

فكما لا يتوقف القلب عن الخفقان

يظل العقل فى حالة عمل مستمر

والأمر أشبه براكب الدراجة الهوائية

الذى يسقط .. إذا توقف عن التبديل !

إن التاريخ العلمى يحدثنا عن أفراد قلائل

ممن شغّـلوا عقولهم بأقصى درجة

فتوصلوا إلى اختراعات لم يتخيلها باقى البشر

وتلك الماخترعات

هى التى انتقلت بها الإنسانية من حال إلى حال

مثل اختراع القطار البخاري ،

والكهرباء ، والمطائرة ،

والقنبلة الذرية ، والتليفون المحمول ..

لكن في المقابل من هؤلاء الأفراد الأفاضل

يوجد الكثير من الناس

الذين يمتلكون — مثلهم — العقول

ولما يريدون أن يشغّلوها ولو بأقل درجة

فيهتمون بتقوية أجسادهم

وتعظيم ممتلكاتهم

وتوسيع دائرة سمعتهم

ثم ما يلبثون أن يغادروا الحياة

وعقولهم لم تعمل أبدا ،

أو لم تعمل إلما زادرا

وفى نطاق شخصى محدود

وإذا حدث أن فتحناها

لنعرف ما حدث لها

فسوف نجد أنها قد تقلصت

وصغر حجمها كثيرا

وعلا تجاويها الصدا

وصارت جزءا من الجثمان

الذى ينتهى به الحال

إلى التحلل فى تراب الأرض .